مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد السابع والثلاثون/ربيع الثاني- جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ . أبريل -يونيو ٢٠١١م

٣٧

- الخاتم النبوي الشريف معلم من معالم الدولة النبوية
- الحفاظ على بيئة المدينة المنورة بين إيزاع التوعية وردع العقوبة
- مخطوطات المدينة المنورة في مكتبة جامعة برنستون
- الأعمال الخشبية في العمارة التقليدية بمنطقة المدينة المنورة

المِنّة الإلهية
على الأمة المحمدية
في الكتاب والسنة النبوية

أ. د. فهمي أحمد عبد الرحمن القزاز
كلية الإمام الأعظم - رئيس قسم الدعوة
والخطابة والفكر - العراق - نينوى

المقدمة

الحمد لله الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى، وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى، فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى، وأصلي وأسلم على الذي دفن في المدينة فلم يبلى. وأشهد أن لا إله إلا الله خلق السموات والأرض والآخرة والأولى، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير أولي النهى. وأترضى عن آل بيته وصحابته أهل التقى، ومن سار على نهجهم إلى يوم الملتقى. وبعد:

يجتهد المتكلمون والكتاب بوصف الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، الذي قال فيه ربه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم: آية ٤].

ولن يستطيع أحد أن يصف رسول الله ﷺ حق الوصف إلا خالقه؛ لأننا مهما أوتينا من قوة البلاغة والبيان فلن نستطيع أن نحيط بفضائله وشمائله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم كما أحاط الله بها وذكرها في القرآن؛ فهو خالقه ومفضله على العالمين.

قال الغزالي رحمه الله: لا يقدر أحدٌ النبيَ ﷺ حق قدرهِ إلا الله تعالى، وإنما يعرف كل واحد من مقداره بقدر ما عنده هو. قال: فأعرف الأمة

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بقدره أبو بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه أفضل الأمة. قال: وإنما يعرف أبو بكر من مقدار المصطفىﷺ ما تصل إليه قوى أبي بكر، وثم أمور تقصر عنها قواه لم يحط بها علمه ومحيط بها علم الله[1].

أردت في هذا البحث أن أبين عظمة منة الله علينا بمبعثه ﷺ فينا؛ ليتسنى لنا أن نشكر الله على هذه المنة حق شكرها فاخترت موضوع (**المِنّة الإلهية على الأمة المحمدية في الكتاب والسنة النبوية**)، لا سيما ونحن نتلو قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولتمام الفائدة ألحقت بالبحث تتمة بينت فيها الأعمال التي هي محط نظر الله ومباهاته بأصحابها على الملائكة؛ لتعلق هذا الموضوع بالموضوع الأول.

(١) ينظر طبقات الشافعية الكبرى: (٦ / ٢٠٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

تمهيـــــد

مـن أسمـاء اللّه الحـسنى المنـان[١]، والـمَنّانُ أَي: الـذي يُـنْعِمُ غـيرَ فـاخِرٍ بالإنعـام، وقيـل: هـو المعطـي ابتداء[٢]. ولو استقرأنا آيات القرآن الكريم نجد أن اللّه تبارك وتعالى قد مَنّ على الأمة المحمدية في القرآن الكريم بثلاث مِنن. مِنّتان في الدنيا، ومِنّة في الآخرة.

أما التي في الآخرة فهي مِنّة النجاة من النار ودخول الجنة. قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٥، ٢٦، ٢٧] نسأل اللّه أن نكون ممن يقول هذا في الجنة.

وأما المنّتان في الدنيا فهما:

الأولى: مِنّة الهداية للإيمان:

قال تعالى: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ ۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧].

والثانية: مِنّة مبعث حبيبه ﷺ رسولاً إلى هذه الأمة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) ينظر: المستدرك على الصحيحين: (٦٣: ١)، والأحاديث المختارة: (٤: ٣٨٥). والمنان بعض من اسم اللّه الأعظم، فعن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول اللّه ﷺجالساً في الحلقة ورجل قائم يصلي، فلما ركع سجد وتشهد دعا فقال في دعائه: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، اللهم إني أسألك، فقال النبي ﷺ: لقد سألت اللّه تبارك وتعالى باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. ينظر صحيح ابن حبان: (٣: ١٧٥).

(٢) ينظر لسان العرب: (١٣: ٤١٨)، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني: ص ٧٧٧.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المِنّة في اللغة:

قال الواحدي رحمه الله: **للمنّ في كلام العرب معان، أحدها: الذي يسقط من السماء وهو قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، وثانيها: أن تمن بما أعطيت وهو قوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وثالثها: القطع وهو قوله: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] وقوله ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣]، ورابعها: الإنعام والإحسان إلى من لا تطلب الجزاء منه، ومنه قوله: ﴿هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾ [ص: ٣٩] وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾. والمنّان في صفة الله تعالى المعطي ابتداء من غير أن يطلب منه عوضاً، وقوله ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: أنعم عليهم وأحسن إليهم ببعثه هذا الرسول**[1].

قال أَبو بكر في قوله تعالى: ﴿مَنَّ اللَّهُ﴾: **يحتمل المَنُّ تأْويلين: أَحدهما: إِحسانُ المُحْسِن غير مُعْتَد بالإِحسان، يقال: لَحِقَتْ فلاناً من فلان مِنّة إِذا لَحِقَتْه نعمةٌ باستنقاذ من قتل أَو ما أَشبهه، والثاني: مَنَّ فلانٌ على فلان إِذا عَظَّمَ الإِحسان وفخَرَ به وأَبدأَ فيه وأَعاد حتى يُفْسده ويُبَغِّضه، فالأَول حسن، والثاني قبيح. وفي أَسماء اللَّه تعالى: الحَنّانُ المَنّانُ أَي الذي يُنْعِمُ غيرَ فاخِرٍ بالإِنعام؛ وأَنشد:**

إِن الذين يَسُوغُ في أَحْلاقِهِمْ زادٌ يُمَنُّ عليهمُ لَئِيمُ.

وقال في موضع آخر في شرح المَنَّانِ: **معناه المُعْطي ابتداء، وللَّه المِنّة على عباده، ولا مِنّة لأَحد منهم عليه، تعالى اللَّه علوًّا كبيراً**. وقال ابن الأَثير: **هو المنعم المُعْطي من المَنِّ في كلامهم بمعنى الإِحسان إِلى من لا يستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه.**

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب: (٩ / ٦٤)

والمَنّانُ: من أَبنية المبالغة كالسَّفَّاكِ والوَهّابِ[١]. قال الكفوي: **المِنّة بالكسر مصدر (منّ عليه مِنّة) إذا امتن، أي (النعمة الثقيلة)، ويكون ذلك بالفعل، وعليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ﴾، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله، وقد يكون بالقول وذلك مستقبح فيما بين الناس إلا عند كفران النعمة، ويقال: المِنّة تهدم الصنيعة**[٢].

وقد تكون المنة بمعنى النفقة، أو بمعنى الشيء المعدود. قال الراغب: **فالمنّ إشارة إلى الإطلاق بلا عوض. وقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص/٣٩] أي: أنفقه، وقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر/٦] فقد قيل: هو المنّة بالقول، وذلك أن يمتن به ويستكثره، وقيل: معناه: لا تعط مبتغياً به أكثر منه.**

وقد تكون بمعنى الشيء المعدود: قال تعالى: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الانشقاق/٢٥]. قيل: غير معدود كما قال: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ الآية: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، وقيل: غير مقطوع ولا منقوص. ومنه قيل: المنون للمنية؛ لأنها تنقص العدد وتقطع المدد. وقيل: إن المنة التي بالقول هي من هذا؛ لأنها تقطع النعمة وتقتضي قطع الشكر[٣].

---

(١) ينظر: لسان العرب (١٣: ٤١٨)، ومفردات ألفاظ القرآن: ص ٧٧٧.

(٢) قلت: ومنه قول الله تعالى في ذم من منّ بالصدقة بعد العطاء: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٢] وفي الحديث: (ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا خَابُوا وَخَسِرُوا، قَالَ: الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ وَالْمَنَّانُ عَطَاءَهُ) ينظر سنن النسائي سنن النسائي: (٥ / ٨١)، رقم: (٢٥٦٣)، ومعجم المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء: ص ٨٧٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ـ نسخة محققة - (٢ / ٣٨٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مِنّة الهداية:

أما مِنّة الهداية التي ذكرها الله بقوله: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الحجرات: ١٧]، فما بعدها مِنّة، من أجل هذا أمرنا رسول الله ﷺ أن نتذكر هذه المِنّة مع كل شبع من طعام أو شراب، فقد صح الخبر عنه ﷺ عن أبي هريرة قال: (دعا رجل من الأنصار النبي ﷺ قال: فانطلقنا معه، فلما طعم وغسل يده قال: **الحمد لله الذي أطعم ولا يطعم، منّ علينا فهدانا، وأطعمنا وسقانا، وكل بلاء حسن أبلانا، الحمد لله الذي أطعم من الطعام، وسقى من الشراب، وكسا من العري، وهدى من الضلالة، وبصر من العمى، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلاً**)[(١)].

وفي حديث آخر عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَكَلَ أَوْ شَرِبَ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ**)[(٢)].

وكأن رسول الله ﷺ يقول: كما أنه لا حياة للجسد بغير طعام وشراب فلا حياة للروح بلا إسلام وهداية.

حتى ذكر المجاهدين في سبيله وهم يقاتلون أعداءهم أن لا ينسوا هذه المِنّة قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[النساء: ٩٤].

---

(١) صحيح ابن حبان (١٢: ٢٢)

(٢) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي: (٢٠٨٥: ٢)

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

مِنّة الله على الأمة بمبعث محمد ﷺ:

وأما مِنّة الله علينا بمبعث محمد ﷺ رسولاً لهذه الأمة فقد تمثلت بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

في البدء ينبغي الإشارة إلى أن هذه المِنّة هي الوحيدة من المنن الثلاث التي جاءت بصيغة التأكيد دون غيرها من المنن المذكورة؛ وذلك لعظمة قدرها ،فلولاها لما وصلنا إلى منّة الهداية ولا منّة النجاة من النار.

و هذه الآية جاءت تعقيباً على الغنائم والطمع فيها والغلول في معركة أحد ، والانشغال بهذا الأمر الصغير، الذي كان الانشغال به هو السبب المباشر الذي قلب الموقف في المعركة ، وبدل النصر هزيمة ، وفعل بالمسلمين الأفاعيل. فالإشارة إلى حقيقة الرسالة الكبيرة ، والمِنّة العظيمة المتمثلة فيها ، لمسة عميقة من لمسات التربية القرآنية الفريدة ، تبدو في ظلها غنائم الأرض كلها ، وأسلاب الأرض كلها ، وأعراض الأرض كلها شيئاً تافهاً زهيداً ، لا يذكر ولا يقدر. شيئاً تخجل النفس المؤمِنة أن تذكره، بل تستحي أن تفكر فيه! فضلاً عن أن تشغل به!.

وهي تجيء في سياق الحديث عن الهزيمة والقرح والألم والخسارة التي أصابت الجماعة المسلمة في المعركة ، فالإشارة إلى تلك الحقيقة الكبيرة وما تمثله من مِنّة عظيمة ، لمسة عميقة من لمسات التربية القرآنية العجيبة ، تصغر في ظلها الآلام والخسائر، وتصغر إلى جانبها الجراح والتضحيات.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

على حين تعظم المِنّة، ويتجلى العطاء الذي يرجح كل شيء في حياة الأمة المسلمة على الإطلاق[١].

وكأن الله يقول للأمة الإسلامية بعد معركة أحد: يا من تتكلمون عن الهزيمة خَلَفكم بمحمد بن عبد الله فهو حي بينكم اليوم ولم يمت بعد، وهي مِنّة ما بعدها مِنّة تخفف بل تمحو عنكم الآلام والقروح وتبدلها إلى الأفراح والمسرات.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ جواب قسم محذوف[٢].

يذكّر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثه الرسول محمداً ﷺ إليهم[٣]. والله إنها مِنّة العظيم الجليل، بإرسال رسول من عنده إلى بعض خلقه، هي المِنّة التي لا تنبثق إلا من فيض الكرم الإلهي، المِنّة الخالصة التي لا يقابلها شيء من جانب البشر. وإلا فمن هم هؤلاء الناس، ومن هم هؤلاء الخلق، حتى يذكرهم الله هذا الذكر، ويعنى بهم هذه العناية؟ ويبلغ من حفاوة الله بهم أن يرسل إليهم رسولاً من عنده، يحدثهم بآياته وكلماته، لولا أن كرم الله يفيض بلا حساب، ويغمر خلائقه بلا سبب منهم ولا مقابل؟.

وتتضاعف المِنّة بأن يكون هذا الرسول "من أنفسهم". لم يقل: "منهم" فإن للتعبير القرآني "من أنفسهم" ظلالاً عميقة الإيحاء والدلالة. إن الصلة بين المؤمنين والرسول هي صلة النفس بالنفس، لا صلة الفرد بالجنس.

فليست المسألة أنه واحد منهم وكفى، إنما هي أعمق من ذلك وأرقى.

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: (١٢٥: ٢)

(٢) ينظر: فتح القدير: (١: ٣٩٤)

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير: (١: ١٩٦)

ثم إنهم بالإيمان يرتفعون إلى هذه الصلة بالرسول، ويصلون إلى هذا الأفق من الكرامة على الله. فهو مِنّة على المؤمنين. . فالمِنّة مضاعفة، ممثلة في إرسال الرسول، وفي وصل أنفسهم بنفس الرسول، ونفس الرسول بأنفسهم على هذا النحو الحبيب[١].

تجليات هذه المِنّة:

فمن تجليات هذه المِنّة: تفضل الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم؛ نبياً من أهل لسانهم، ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول[٢]. وقيل: معنى ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: واحد منهم وبشر مثلهم، وإنما امتاز عنهم بالوحي[٣].

فوجه المِنّة على الأول: أنهم يفقهون عنه ويفهمون كلامه ولا يحتاجون إلى ترجمان.

ومعناها على الثاني: أنهم يأنسون به بجامع البشرية، ولو كان ملكاً لم يحصل كمال الأنس به؛ لاختلاف الجنسية.

وقرئ (من أنفَسِهم) بفتح الفاء أي: من أشرفهم؛ لأنه من بني هاشم، وبنو هاشم أفضل قريش، وقريش أفضل العرب، والعرب أفضل من غيرهم.

ولعل وجه الامتنان على هذه القراءة أنه لما كان من أشرفهم كانوا أطوع له وأقرب إلى تصديقه.

ولا بد من تخصيص المؤمنين في هذه الآية بالعرب على الوجه الأول، وأما على الوجه الثاني فلا حاجة إلى هذا التخصيص، وكذا على قراءة

---

(١) ينظر: في ظلال القرآن: (١٢٦: ٢).

(٢) ينظر: جامع البيان: (٤: ١٦٣).

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: (٤: ٢٦٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

من قرأ بفتح الفاء لا حاجة إلى التخصيص؛ لأن بني هاشم هم أنفس العرب والعجم في شرف الأصل وكرم النجار ورفاعة المحتد[١].

وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به فالمِنّة عليهم أعظم[٢].

وكلمة ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فيها مغزى عظيم فهمه جعفر رضي الله عنه حين خاطب النجاشي بقوله: (.. **أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار، يأكل القوى منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نحن نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام** - قال: فعدد عليه أمور الإسلام - **فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل**..)[٣].

فمعرفة نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ﷺ يدعو إلى الإيمان به؛ فقد عرف قبل تحمل الرسالة بالصادق الأمين.

ثم الإشارة إلى آثار هذه المِنّة العلوية في حياة الأمة الإسلامية، في آثارها العملية في نفوسهم وحياتهم وتاريخهم الإنساني. قال تعالى: ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ

(١) ينظر: فتح القدير: (١: ٣٩٤).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: (٤: ٢٦٤)، وينظر: فتح القدير: (١: ٣٩٤).

(٣) ينظر: مسند الإمام أحمد: (١: ٢٠٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

تتجلى هذه المِنّة في أكبر مجاليها في تكريم الله لهم بإرسال رسول من عنده يخاطبهم بكلام الله الجليل: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾. وهذه مِنّة ثانية أي: يتلو عليهم القرآن بعد أن كانوا أهل جاهلية لا يعرفون شيئاً من الشرائع[1]. وجملة ﴿يَتْلُوا۟ ﴾ في موضع نصب نعت لرسول أو نصب على الحال، والتلاوة القراءة[2].

ولو تأمل الإنسان هذه المِنّة وحدها لراعته وهزته حتى ما يتمالك أن ينصب قامته أمام الله، ويقف أمامه للشكر والصلاة!

ولو تأمل أن الله الجليل ـ سبحانه ـ يتكرم عليه، فيخاطبه بكلماته؛ يخاطبه ليحدثه عن ذاته الجليلة وصفاته؛ وليعرّفه بحقيقة الألوهية وخصائصها، ثم يخاطبه ليحدثه عن شأنه ـ هو الإنسان ـ هو العبد الصغير الضئيل ـ وعن حياته، وعن خوالجه، وعن حركاته وسكناته. يخاطبه ليدعوه إلى ما يحييه، وليرشده إلى ما يصلح قلبه وحاله، ويهتف به إلى جنة عرضها السماوات والأرض[3].

﴿وَيُزَكِّيهِمْ ﴾

وهذه الجملة معطوفة على الجملة الأولى، وهما في محل نصب على الحال أو صفة لرسول[4].

---

(١) ينظر: فتح القدير: (١: ٣٩٤).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: (٢٠: ١٧٨).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: (١٢٧: ٢).

(٤) ينظر: فتح القدير: (١: ٣٩٤).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ومعنى التزكية: يطهرهم من ذنوبهم ورذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور[١] باتباعهم إياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم.[٢]

والتطهير هنا معنوي، أي: يطهرهم من نجاسة الكفر، يطهرهم ويرفعهم وينقيهم؛ يطهر قلوبهم وتصوراتهم ومشاعرهم، ويطهر بيوتهم وأعراضهم وصلاتهم، ويطهر حياتهم ومجتمعهم وأنظمتهم، يطهرهم من أرجاس الشرك والوثنية والخرافة والأسطورة وما تبثه في الحياة من مراسم وشعائر وعادات وتقاليد هابطة مزرية بالإنسان وبمعنى إنسانيته، ويطهرهم من دنس الحياة الجاهلية وما تلوث به المشاعر والشعائر والتقاليد والقيم والمفاهيم[٣].

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾

الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة[٤]، التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين على لسان رسول الله ﷺ وبيانه لهم[٥].

وكان المخاطبون بهذه الآية أميين جهالاً؛ أمية القلم، وأمية العقل سواء، وما كان لهم من المعرفة شيء ذو قيمة بالمقاييس العالمية للمعرفة في أي باب من الأبواب، وما كان لهم في حياتهم من هموم كبيرة تنشئ معرفة ذات قيمة عالمية في أي باب من الأبواب. فإذا هذه الرسالة تحيلهم أساتذة الدنيا وحكماء العالم، وأصحاب المنهج العقيدي والفكري والاجتماعي والتنظيمي، الذي ينقذ البشرية كلها من جاهليتها في ذلك الزمان، والذي

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (١: ١٩٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري: (٤: ١٦٣).

(٣) ينظر: في ظلال القرآن: (١٢٧: ٢).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير: (١: ١٩٦)، وفتح القدير: (١: ٣٩٤).

(٥) ينظر: تفسير الطبري: (٤: ١٦٣).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

يرتقب دوره في الجولة القادمة - بإذن الله - لإنقاذ البشرية مرة أخرى من جاهليتها الحديثة، التي تتمثل فيها كل خصائص الجاهلية القديمة؛ من النواحي الأخلاقية والاجتماعية؛ وتصور أهداف الحياة الإنسانية وغاياتها كذلك! على الرغم من فتوحات العلم المادي والإنتاج الصناعي، والرخاء الحضاري[١].

﴿وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

أي ولقد كانوا من قبل، أي: من قبل محمد ﷺ، وقيل: إن بمعنى ما، واللام في قوله﴿لَفِى﴾ للفرق بين (إن) المخففة من الثقيلة وبين النافية فهي تدخل في خبر المخففة لا النافية، واسمها ضمير الشأن، وقيل: إنها النافية واللام بمعنى إلا، أي: وما كانوا من قبل إلا في ضلال مبين. وبه قال الكوفيون. والجملة على التقديرين في محل نصب على الحال[٢]. أي من قبل أن يمن الله عليهم بإرساله رسوله الذي هذه صفته في حيرة عن الهدى عمياء؛ لا يعرفون حقاً ولا يبطلون باطلاً. في عمياء من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغيثون من سيئة، صم عن الحق عمي عن الهدى[٣].

وهذا الضلال مبين أي: واضح لا ريب فيه؛ ضلال في التصور والاعتقاد، وضلال في مفهومات الحياة، وضلال في الغاية والاتجاه، وضلال في العادات والسلوك، وضلال في الأنظمة والأوضاع، وضلال في المجتمع والأخلاق[٤]. فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء، فصاروا أعمق الناس علماً، وأبرهم قلوباً، وأقلّهم تكلفاً،

(١) ينظر: في ظلال القرآن: (١٣٣: ٢).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي: (٤: ٢٦٤)، وفتح القدير: (١: ٣٩٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري: (٤: ١٦٣)، وتفسير القرطبي: (٢٠: ١٧٨).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن: (١٣٣: ٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

وأصدقهم لهجة بعد أن منّ الله عليهم بهذه المِنّة.

حتى ذم الله تبارك وتعالى من لم يعرف قدر هذه النعمة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾. قال ابن عباس: **يعني بنعمة الله محمداً ﷺ**؛ ولهذا ندب الله المؤمنين إلى الاعتراف بهذه النعمة ومقابلتها بذكره وشكره وقال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

قال مجاهد في قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ يقول: **كما فعلت فاذكروني**.

قال زيد بن ثابت بن أسلم: **إن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك؟، قال له ربه: تذكرني ولا تنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني**.

وقال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس: **إن الله يذكر من ذكره ويزيد من شكره، ويعذب من كفره**[(١)].

لقد كانت المِنّة الإلهية على هذه الأمة بهذا الرسول وبهذه الرسالة عظيمة. وما يمكن أن يصرفها عن هذه المِنّة إلا شيطان، وهي مكلفة من ربها بمطاردة الشيطان[(٢)].

وهذه التجليات بصورها ذكرها الإمام الرازي في تفسيره الرائع مفاتيح الغيب فقال:

إن بعثة الرسول إحسان إلى كل العالمين؛ وذلك لأن وجه الإحسان في بعثته كونه داعياً لهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله ويوصلهم إلى ثواب

(١) ينظر: تفسير ابن كثير: (١: ١٩٦).

(٢) ينظر: في ظلال القرآن: (١٣٣: ٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الله، وهذا عام في حق العالمين؛ لأنه مبعوث إلى كل العالمين كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ: ٢٨]، إلا أنه لما لم ينتفع بهذا الإنعام إلا أهل الإسلام؛ فلهذا التأويل خص تعالى هذه المنّة بالمؤمنين، ونظيره قوله تعالى: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] مع أنه هدى للكل كما قال: ﴿هُدٗى لِّلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٤٥].

اعلم أن بعثة الرسول إحسان من الله إلى الخلق، ثم إنه لما كان الانتفاع بالرسول أكثر كان وجه الإنعام في بعثة الرسل أكثر، وبعثة محمد ﷺ كانت مشتملة على الأمرين:

أحدهما: المنافع الحاصلة من أصل البعثة.

والثاني: المنافع الحاصلة بسبب ما فيه من الخصال التي لم تكن موجودة في غيره.

أما المنفعة بسبب أصل البعثة فهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥].

قال أبو عبدالله الحليمي: **وجه الانتفاع ببعثة الرسل ليس إلا في طريق الدين، وهو من وجوه، الأول: أن الخلق جبلوا على النقصان وقلة الفهم وعدم الدراية، فهو صلوات الله عليه أورد عليهم وجوه الدلائل ونقّحها، وكلما خطر ببالهم شك أو شبهة أزالها وأجاب عنها. والثاني: أن الخلق وإن كانوا يعلمون أنه لا بد لهم من خدمة مولاهم، ولكنهم ما كانوا عارفين بكيفية تلك الخدمة، فهو شرح تلك الكيفية لهم حتى يقدموا على الخدمة آمنين من الغلط ومن الإقدام على ما لا ينبغي. والثالث: أن الخلق جبلوا على الكسل والغفلة والتواني والملالة، فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات حتى إنه كلما عرض لهم كسل أو فتور نشطهم للطاعة**

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ورغبهم فيها. الرابع: أن أنوار عقول الخلق تجري مجرى أنوار البصر، ومعلوم أن الانتفاع بنور البصر لا يكمل إلا عند سطوع نور الشمس، ونوره عقلي إلهي يجري مجرى طلوع الشمس فيقوي العقول بنور عقله ويظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستتراً عنهم قبل ظهوره، فهذا إشارة حقيقية إلى فوائد أصل البعثة.

وأما المنافع الحاصلة بسبب ما كان في محمد ﷺ من الصفات فأمور ذكرها الله تعالى في هذه الآية أولها قوله: مّنْ أَنفُسِهِمْ.

واعلم أن وجه الانتفاع بهذا من وجوه:

الأول: أنه عليه السلام ولد في بلدهم ونشأ فيما بينهم، وهم كانوا عارفين بأحواله مطلعين على جميع أفعاله وأقواله، فما شاهدوا منه من أول عمره إلى آخره إلا الصدق والعفاف، وعدم الالتفات إلى الدنيا، والبعد عن الكذب، والملازمة على الصدق. ومن عرف من أحواله من أول العمر إلى آخره ملازمته الصدق والأمانة وبعده عن الخيانة والكذب ثم ادعى النبوة والرسالة التي يكون الكذب في مثل هذه الدعوى أقبح أنواع الكذب يغلب على ظن كل أحد أنه صادق في هذه الدعوى.

الثاني: أنهم كانوا عالمين بأنه لم يتتلمذ لأحد، ولم يقرأ كتاباً، ولم يمارس درساً ولا تكراراً، وأنه إلى تمام الأربعين لم ينطق ألبتة بحديث النبوة والرسالة، ثم إنه بعد الأربعين ادعى الرسالة وظهر على لسانه من العلوم ما لم يظهر على أحد من العالمين، ثم إنه يذكر قصص المتقدمين وأحوال الأنبياء الماضين على الوجه الذي كان موجوداً في كتبهم، فكل من له عقل سليم علم أن هذا لا يتأتى إلا بالوحي السماوي والإلهام الإلهي.

الثالث: أنه بعد ادعاء النبوة عرضوا عليه الأموال الكثيرة والأزواج ليترك هذه الدعوى فلم يلتفت إلى شيء من ذلك. بل قنع بالفقر وصبر على

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المشقة، ولما علا أمره وعظم شأنه وأخذ البلاد وعظمت الغنائم لم يغير طريقه في البعد عن الدنيا والدعوة إلى الله. والكاذب إنما يقدم على الكذب ليجد الدنيا، فإذا وجدها تمتع بها وتوسع فيها، فلما لم يفعل شيئاً من ذلك علم أنه كان صادقاً.

الرابع: أن الكتاب الذي جاء به ليس فيه إلا تقرير التوحيد والتنزيه والعدل والنبوة وإثبات المعاد وشرح العبادات وتقرير الطاعات، ومعلوم أن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به، ولما كان كتابه ليس إلا في تقرير هذين الأمرين علم كل عاقل أنه صادق فيما يقوله.

الخامس: أن قبل مجيئه كان دين العرب أرذل الأديان؛ وهو عبادة الأوثان، وأخلاقهم أرذل الأخلاق؛ وهو الغارة والنهب والقتل وأكل الأطعمة الرديئة. ثم لما بعث الله محمداً ﷺ نقلهم الله ببركة مقدمه من تلك الدرجة التي هي أخس الدرجات إلى أن صاروا أفضل الأمم في العلم والزهد والعبادة وعدم الالتفات إلى الدنيا وطياتها؛ ولا شك أن فيه أعظم المنة.

إذا عرفت هذه الوجوه فنقول: إن محمداً عليه الصلاة والسلام ولد فيهم ونشأ فيما بينهم، وكانوا مشاهدين لهذه الأحوال مطلعين على هذه الدلائل، فكان إيمانهم مع مشاهدة هذه الأحوال أسهل مما إذا لم يكونوا مطلعين على هذه الأحوال؛ فلهذه المعاني منّ الله عليهم بكونه مبعوثاً منهم فقال: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾. وفيه وجه آخر من المنّة؛ وذلك لأنه صار شرفاً للعرب وفخراً لهم كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]؛ وذلك لأن الافتخار بإبراهيم عليه السلام كان مشتركاً فيه بين اليهود والنصارى والعرب، ثم إن اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى والتوراة والإنجيل فما كان للعرب ما يقابل ذلك، فلما بعث الله محمداً

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عليه السلام وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائداً على شرف جميع الأمم. فهذا هو وجه الفائدة في قوله: مِّنْ أَنفُسِهِمْ[(١)].

واستشعر الأصحاب هذه المِنّة فكانوا يتذاكرون فيها ويشكرون الله عليها، فكان ثوابهم تباهي الله بهم على ملائكته، فقد صح: (**إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَدْعُو اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ. قَالَ: آللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَلِكَ؟ قَالُوا: آللَّهُ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَلِكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهَمَةً لَكُمْ وَإِنَّمَا أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ**)[(٢)].

وقد وعى الأصحاب واستشعروا عظمة هذه المِنّة، مِنّة الهداية ومِنّة مبعث النبي فيهم، فكان جوابهم عندما يذكرهم رسول الله ﷺ بهما أن يقولوا: الله ورسوله أمنّ. وقد تجلى ذلك واضحاً بعد غزوة حنين، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ قَال: (**لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَلَمْ يُعْطِ الْأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي؟، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمْ اللَّهُ بِي؟، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي؟. كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: مَا يَمْنَعُكُمْ أَنْ تُجِيبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟. قَالَ: كُلَّمَا قَالَ شَيْئًا قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ. قَالَ: لَوْ شِئْتُمْ قُلْتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وَكَذَا. أَتَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ**

(١) ينظر: تفسير الرازي: مفاتيح الغيب (٩ / ٦٤).

(٢) سنن النسائي - (٨ / ٢٤٩)، رقم: (٥٤٢٦)، مسند أحمد - (٢٨ / ٤٩)، رقم: (١٦٨٣٥)، والمعجم الكبير للطبراني - (١٤ / ٢٢٤)، رقم: (١٦٠٥٧)، شعب الإيمان - (١ / ٤٠٠)، رقم: (٥٣٢)، وأصل الحديث في صحيح مسلم: ينظر صحيح مسلم - (٨ / ٧٢)، رقم: (٧٠٣٢). وهذا أحد الأصناف التي يباهي الله بها ملائكته في السنة النبوية من أربعة أصناف، والثاني: وقوف الحاج على صعيد عرفة، والثالث: انتظار الصلاة المكتوبة، والرابع: قيام الليل. وستأتي في نهاية هذا المبحث إن شاء الله.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟. لَوْلاَ الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهَا، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ. إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ)[(١)].

وكان أكثر الناس استشعاراً لهذه المِنّة آل بيت النبي ﷺ، فهذا الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول معلماً غيره مستشعراً هذه المِنّة: قل: **الحمد لله الذي هدانا للإسلام، الحمد لله الذي منّ علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس**[(٢)].

وقد تمعن علماء هذه الأمة في حقيقة استشعار المِنّة والوقوف على معناها:

قال شقيق البلخي[(٣)]: **متى أغفل العبد قلبه عن الله والتفكر في صنعه ومنته عليه ثم مات مات عاصياً؛ لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبداً مع الله، يقول: يا رب أعطني الإيمان، وعافني من البلاء، واسترني من عيوبي، وارزقني، واجعل نعمك متوالية علي، فهو أبداً متفكر في نعم الله عليه، فالتفكر في مِنّة الله شكر والغفلة عنه سهو**[(٤)].

وقال أبو علي الجوزجاني: **ثلاثة أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبة، فزيادة الخوف من كثرة الذنوب لرؤية الوعيد، وزيادة**

---

(١) صحيح البخاري: (١٥٧٤: ٤)، وصحيح مسلم: (٧٣٨: ٢).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢٥: ٥٤).

(٣) الإمام الزاهد، شيخ خراسان، أبو علي شقيق بن إبراهيم الأزدي البلخي، صحب إبراهيم بن أدهم، وروى عن كثير بن عبد الله الأبلي وإسرائيل بن يونس وعباد ابن كثير، حدث عنه عبد الصمد بن يزيد مردويه ومحمد بن أبان المستملي وحاتم الأصم والحسين بن داود البلخي وغيرهم، وهو نزر الرواية روي عن علي بن محمد بن شقيق. توفي ١٩٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (٩: ٣١٣).

(٤) ينظر: حلية الأولياء: (٨: ٧١).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

الرجاء من اكتساب الخير لرؤية الوعد، وزيادة المحبة من كثرة الذكر لرؤية المِنّة، فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجي لا يستريح من الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب، فالخوف نار منور، والرجاء نور منور، والمحبة نور الأنوار[(١)].

وقال أبو بكر السمساطي عندما سئل عن أصل الشكر: **أصل الشكر رؤية المِنّة بالقلب والمعرفة بأنه من الله عز وجل، وحقيقة الشكر في الأصل والفرع أن تتقي الله خاصة**. وذكر عن بعض السلف أنه قال: **الشكر تقوى الله عز وجل ألا ترى أنه يقول: ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون. فالمتقي في هذه الآية هو الشاكر لنعمة الله، وهذه الآية تدل على أن المتقي هو الشاكر، ومن لم يكن متقياً لم يكن شاكراً**[(٢)].

وقال ذو النون المصري[(٣)]: **ثلاثة من أعلام الشكر: المقاربة من الإخوان في النعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر بملاحظة المِنّة**[(٤)].

وقال المزين البغدادي[(٥)]: **لا يصل العبد إلى العلم إلا بالطلب، ولا يتصل**

---

(١) ينظر: شعب الإيمان: (١: ٣٨٠).

(٢) المصدر نفسه.

(٣) ذو النون المصري الزاهد، شيخ الديار المصرية، ثوبان بن إبراهيم، وقيل: فيض بن أحمد، وقيل: فيض بن إبراهيم النوبي الإخميمي، يكنى أبا الفيض، ويقال: أبا الفياض، ولد في أواخر أيام المنصور. توفي ٢٤٥ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: (١١: ٥٣٢).

(٤) المصدر نفسه: (٤: ١٣٥)

(٥) الأستاذ العارف أبو الحسن البغدادي علي بن محمد المزين، صحب سهل بن عبد الله التستري والجنيد، وجاور بمكة، وكان من أورع القوم وأكملهم حالاً، حكى عنه أبو بكر الرازي وغيره ومحمد بن أحمد النجار. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥: ٢٣٢).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

بالتقى إلا بالعلم، ولا يتصل بالزهد إلا بالورع، ولا يتصل بالصبر إلا بالزهد، ولا يتصل بالشكر إلا بالصبر، ولا يتصل بالرضا إلا بالشكر، ولا يتصل بالله إلا بالرضا، والرضا سرور القلب بمر القضاء، والشكر انكسار القلب برؤية المِنّة، والصبر حبس النفس عن المكروه، والزهد ترك ما فيها على من فيها، والورع شدة الهرب من الشبهات مخافة الوقوع في الحرام، وجماع التقوى شدة الوجل على دوام الأحوال في المحمود والمذموم، والعلم رؤية ما يرى الأشياء به، والطلب حرص منقطع عما سواه[(١)].

تتمة:

وينبغي الإشارة إلى أن الله يباهي الملائكة الكرام بنا معاشر المسلمين فضلاً منه سبحانه وتعالى وببركة النبي ﷺ في أربع خصال:

والمباهاة هي: المُفاخرة. و تَباهَوْا أَي تفاخروا. وباهاه إِذا فاخره[(٢)]، وأصل البهاء الحسن والجمال، والمباهاة الافتخار وإظهار حسن المفتخر به[(٣)].

ومعناه: أن الله تعالى يقول لملائكته: انظروا إلى عبيدي هؤلاء كيف سلطت عليهم نفوسهم، وشهواتهم وأهويتهم، والشيطان وجنوده، ومع ذلك قويت همتهم على مخالفة هذه الدواعي القوية إلى البطالة وترك العبادة والذكر، فاستحقوا أن يمدحوا أكثر منكم؛ لأنكم لا تجدون للعبادة مشقة بوجه، وإنما هي منكم كالتنفس منهم، ففيها غاية الراحة

(١) ينظر: كتاب الزهد الكبير: (٢: ٣٤٢).

(٢) لسان العرب (١٤: ٩٩).

(٣) ينظر: الديباج على صحيح مسلم: (٦: ٥٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والملاءمة للنفس[١]. وقيل: يباهي بكم الملائكة أي يظهر فضلكم لهم ويريهم حسن عملكم ويثني عليكم عندهم[٢].

والخصال هي:

الأولى: التذاكر في مِنّة الله على عباده بالهداية إلى الإيمان ومبعث محمد ﷺ.

فقد صح الخبر: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟، قَالُوا: جَلَسْنَا نَدْعُو اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِدِينِهِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِكَ، قَالَ: آللَّهُ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَلِكَ؟، قَالُوا: آللَّهُ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَلِكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهَمَةً لَكُمْ وَإِنَّمَا أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ**)[٣].

الثانية: وقوف الحاج على صعيد عرفة:

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: (**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا**)[٤].

٢-عن عائشة أن رسول الله ﷺقال: (**ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي الملائكة. .**)[٥].

الثالثة: انتظار الصلاة المكتوبة:

عن عَبْد اللَّهِ بْن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قال: (**صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺذَاتَ لَيْلَةٍ**

---

(١) ينظر: تحفة الأحوذي: (٩: ٢٢٧).

(٢) ينظر: الديباج (٦: ٥٨).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مسند أحمد (٢: ٢٢٤، ومصنف عبد الرزاق: (٨: ٥)، والطبراني في الكبير: (٣٩٦: ١٩)، والمعجم الأوسط للطبراني: (١٤٢: ٨).

(٥) ينظر: صحيح ابن خزيمة: (٤: ٢٥٩)، والمستدرك: (٦٣٦: ١)، وسنن البيهقي: (١١٨: ٥).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ وَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَبْلَ أَنْ يَثُورَ النَّاسُ بِصَلَاةِ الْعِشَاءِ، فَجَاءَ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ رَافِعًا إِصْبَعَهُ هَكَذَا وَعَقَدَ تِسْعًا وَعِشْرِينَ وَأَشَارَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: أَبْشِرُوا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلَائِكَةَ يَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَدَّوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى)[1].

الرابعة: قيام الليل:

فعن جابر بن عبدالله عن النبي ﷺقال: (**عليكم بصلاة الليل فإنها قربة لكم إلى ربكم عز وجل، وإن الله يباهي بكم ملائكته ويحببكم إلى خلقه ويدفع عنكم البلاء وميتة السوء ويطفىء عنكم حر النار**)[2].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته إلى يوم الدين.

(١) مسند أحمد: (١٨٦: ٢)، وسنن ابن ماجه: (١: ٢٦٢)، والبحر الزخار للبزار: (٣٧٥: ٦).

(٢) ينظر: الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي: (٣: ١٨).

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الأحاديث المختارة، لمحمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي، أبي عبد الله (٥٦٧-٦٤٣هـ) مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١١، الأولى، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش.

٢. البحر الزخار، لأحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، أبي بكر (٢١٥-٢٩٢هـ)، مؤسسة علوم القرآن مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة، ١٤٠٩، الطبعة الأولى، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله.

٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، أبي العلا، (١٢٨٣-١٣٥٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، أبي الفداء، (ت٧٧٤)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١.

٥. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب: لمحمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، فخر الدين، دار الكتب العلمية - بيروت- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبي جعفر (ت٣١٠)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥.

٧. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل ابي عبد الله البخاري الجعفي، (١٩٤-٢٥٦هـ)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الثالثة، تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

٨. الجامع لأحكام القرآن، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

القرطبي، أبي عبد الله، (ت٦٧١)، دار الشعب، القاهرة، ١٣٧٢، الطبعة: الثانية. تحقيق أحمد عبد العليم البردوني.

٩. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأحمد بن عبد الله الأصبهاني، أبي نعيم (ت٤٣٠)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥، الطبعة: الرابعة.

١٠. الديباج على صحيح مسلم، لعبد الرحمن بن أبي بكر أبي الفضل السيوطي، (ت٩١١)، دار ابن عفان، السعودية، ١٤١٦ – ١٩٩٦، تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري.

١١. سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد أبي عبدالله القزويني، (٢٠٧-٢٧٥هـ)، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢. سنن النسائي، لأحمد بن شعيب أبي عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الثانية، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة.

١٣. سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبي عبد الله، (٦٧٣-٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣، التاسعة، ط٣، تحقيق شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي.

١٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، لهبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي أبي القاسم، (ت٤١٨)، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢.

١٥. شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين البيهقي، أبي بكر (٣٨٤-٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول.

١٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي، (ت ٣٥٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤ هـ -

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

١٩٩٣، الثانية، ط٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط.

١٧. صحيح ابن خزيمة، لمحمد بن إسحاق بن خزيمة أبي بكر السلمي النيسابوري، (٢٢٣-٣١١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠ – ١٩٧، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي.

١٨. صحيح مسلم بشرح النووي، ليحيى بن شرف بن مري النووي، أبي زكريا (٦٣١-٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢، الطبعة الثانية، ط٨.

١٩. طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو.

٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني، (ت١٢٥٠)، دار الفكر، بيروت.

٢١. الفردوس بمأثور الخطاب: لشيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني، أبي شجاع، دار لكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، الطبعة الأولى، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول.

٢٢. في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط: ٥، ١٩٦٧.

٢٣. كتاب الزهد الكبير، لأحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي، أبي بكر (ت٤٥٨)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦، الطبعة: الثالثة.

٢٤. لسان العرب، لمحمد بن كرم ابن منظور الإفريقي، (ت٧١١)، دار صادر، بيروت.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٢٥. المستدرك على الصحيحين: لمحمد بن عبد الله أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، (٣٢١-٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ – ١٩٩، الأولى، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

٢٦. مسند أبي يعلى، لأحمد بن علي بن المثنى، أبي يعلى الموصلي التميمي، دار المأمون للتراث، دمشق، ١٤٠٤ ١٩٨٤، الأولى، ط٣، تحقيق حسين سليم أسد.

٢٧. مسند الإمام، لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني، (١٦٤-٢٤١هـ)، مؤسسة قرطبة، مصر.

٢٨. المصنف في الأحاديث والآثار: لعبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، أبي بكر (ت ٢٣٥)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩، الطبعة: الأولى، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٢٩. المصنف: لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، أبي بكر (١٢٦-٢١١هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ط١، حبيب الرحمن الأعظمي.

٣٠. المعجم الأوسط، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد ،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٣١. المعجم الكبير: لسليمان بن أحمد بن أيوب ابي القاسم الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الثانية، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي.

٣٢. معجم المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبي البقاء (ت١٠٩٤) مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٨، مقابلة على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه: د. عدنان درويش، ومحمد المصري.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

٣٣. مفردات ألفاظ القرآن، للحسين بن محمد، أبي القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦، ط: الأولى.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة